هل أصيب الشعر العربي بنكسة ؟

جواب الاستاذ سيد قطب

أعتقد ان هؤلاء الذين يقولون : إن الشعرقد أصيب بنكسة بعد شوقي وحافظ ومطران والرصافي ، متأثرون بلون خاص من الشعر ، يحسبونه وحده هو الشعر. ومن ثم لا يكون هناك شعر بعد أولئك الشعراء.

ولكنهم لو أفسحوا حسهم للأنماط الأخرى من الشعر ، التي هي أحق بكلمة « شعر »، لرأوا أن ليست هنالك نكسة على الإطلاق . كل ما هنالك أن البذور الجديدة لم تبلغ قمتها بعد ، كما بلغت الأنماط القديمة قمتها في شعر أولئك الشعراء .

ولست أشك في ان البذرة الجديدة أنفس قيمة وأصدق في تمثيل الشاعرية الحقة من الأنماط القديمة ، وأنها حين تتم تمامها ستكون أعلى بكثير من تلك الأنماط .

ولست أشك في ان نماذج مثل الشابي ، ونازك ، وفدوى ، تطمئننا على الشعر في حاضره ومستقبله .. ولكم وددت لو أجد فسحة — ولو صغيرة — من الوقت والجهد لدراسة المقومات الجديدة الأصيلة في شعر هؤلاء الثلاثة ، وكذلك في شعر بعض شباب العراق .. ولكن الشواغل لم تعد تفسح لي هذه الفرصة ... وأسفاه !

جواب الاستاذ خليل الهنداوي

يظهر ان مجلة « الآداب » قد جزعت كثيراً على الشعر ان يصاب بنكسة بعد موت شوقي وحافظ ومطران والرصافي ، فهي تتساءل عن مدى هذه النكسة ، والى اين تذهب ؟

أما ان هنالك نكسة فلا بد من الاعتراف بها ، ولكن الاولى بها ان تظهر الجزع على نكسة تصيب الشعر العالمي عامة ، وقد اصيب بها .

فليست النكسة متعلقة بالشعر العربي الحديث وحده ، لانني على اعترافي بفضل الذين ماتوا، وبفضل شوقي خاصة، وهو موهبة العبقرية في العرب لهذا العصر بمحاسنه ومساوئه ... لا أرى ان فقدهم قد أصاب الشعر بنكسة ، بل ان في الأحياء شعراء اكثر استجابة لعواطفهم ، وآمن لفنهم ، وأشد تعصباً لشخصيتهم ، وأكثر اتصالاً بمفهوم الشعر العالمي ... — اطال الله في آجالهم ، واطلق من حناجرهم !

اذاً ، فالنكسة في شعرنا لا تعود الى ذهاب هذه العناصر ، ولنا ، بدلاً عن حافظ والرصافي وشوقي ومطران ، كثيرون قد أبدعوا ، ولا يزالون يبدعون... وانما نكسة الشعر تعود الى عوامل عدة ترتبط بهذا العصر الذي اختلف بروحه وعقليته عن العصور السابقة ، واقام قيماً جديدة لأنواع من الأدب جديدة . ولعل في مقدمة هذه النكسة « النزعة المادية » التي غلبت على ألوان تفكيره وتوجيهه ، حتى جعلت من حياتنا « مادة » لا تغذيها إلا المادة ... وما أكثر ما تلح علينا المادة بتكاليفها ! فمن ذا الذي يتفرغ اليوم لقراءة الشعر والتغني به ؟

لقد خاف الفيلسوف الفنان « غيو » في فجر النهضة العالمية على الشعر ، ولكنه آمن بأن الشعر باق ، وليس في مبتكرات العلم الا ما يغذيه ، ويلون صوره ، ويوحي اليه بالمعاني . ولكنه بدل الغاية التي يهدف اليها الشعر ، وجعل منه « شعراً علمياً » يستفيد من مبتكرات العلم ، وهيهات ان يلد العلم شعراً ! فالشعر ان لم يعتمد على ما حلقه الله له من عاطفة، وتوقد ، وشخصية ، والوان، والحان فهو ليس بالشعر .

اذاً ، فهنالك النكسة العالمية التي اصيب بها الشعر في كل بلد...وإن صادفت حياة ما للشعر فهي الحياة التي يمارسها الطلاب في مدارسهم وجامعاتهم. ولولا دراسة الأدب دراسة جبرية لرأيت الشعر مادة نادرة ، لا يبحث عنها الا من ابتلي بها . ولكن الخوف الآن عندي الى متى ستحرص المدارس على تدريس الشعر ؟ وهل يأتي زمان تطغى فيه المعارف الآلية ، والعلوم التطبيقية على كل شيء ؟

على ان من عوامل هذه النكسة عوامل وراثية تنجلي في الشعر العربي ، وطالما شكا الشعراء اهمال الناس للشعر . و هذا ابو تمام يقول :

اغلى عذارى الشعر ان مهورها عند الكرام وان رخصن غوالي

فعذارى الشعر في عصر ابي تمام رخيصة المهور ، لا يتنافس في إغلاء مهورها الا كرام الناس . واليوم لم يعد من كرام لهؤلاء العذارى ، ولا من طامعين في جمالها ، على اننا نحمد الله على ان شعراءنا لم يعودوا يعرضون عذارى شعرهم في الاسواق ، وانما هم يريدون ان يلبوا حاجة انفسهم ، او اوطانهم أو مجتمعهم ، او الانسانية عامة . ولا يريدون اكثر من قراء يحترمون إنتاجهم ، فهل يفوتهم القراء ؟ وهذه نكسة الشعر ، لا نكسة تتعلق بشعراء ؟

ومن اسباب هذه النكسة ما يتعلق بتقصير شعرنا بصورة خاصة...من انعدام ذلك التجاوب بينه وبين القراء في عاطفته حيناً ، وفي لغته حيناً آخر . ومن قيود كثيرة، ومناسبات ضيقة يموت القول بموتها مهما كان شريفاً. ومن اقتحام الشعر الغربي الذي هو اصدق انسانية، واغزر ألواناً، واكثر انطباعاً على النفس . والشعر نفسه ضيق المجال ، كثير الحدود ، يشهد على ذلك ان اعاظم الكتاب يبدأون حياتهم الادبية بالشعر، ثم يتسللون منه الى الكتابة ، لأنها ارحب مجالاً للتعبير عن عواطفهم وافكارهم خارجين عن حكم الوزن والقافية الرتيبة .

هذه النكسة التي تخشاها مجلة الآداب مرتبطة على كل حال بالنكسة العالمية، فاما ان تجعل الشعر كله عاجزاً ، وإما ان توجهه توجيهاً جديداً . ولكني احب ان اكون متفائلاً ، لأنني اعتقد ان الأدب وحده ستعود اليه الانسانية المرهقة بتكاليف المادة ليوقظ عاطفتها الانسانية ويقتل روح الأثرة فيها ، اذا سامت من الواقعية والمادية .

ولكن متى يكون هذا ؟

قل ... علمه في ضمير الغيب !

الآداب تستفتي

« جزع كثير من الادباء من ان يصاب الشعر العربي بنكسة قوية بعد شوقي وحافظ ومطران والرصافي . فهل تعتقدون ان الشعر العربي الحديث قد اصيب حقاً بهذه النكسة ؟ »

هذا هو موضوع الاستفتاء الذي طرحته «الآداب» على عدد من الادباء المعنيين بشؤون الشعر في العالم العربي ، فتلقت الأجوبة التالية :

جواب الدكتور محمد المهدي الجصير

في اعتقادي ان الشعر العربي الحديث لم يصب بنكسة على الاطلاق وانه لا محل لافتراض مثل هذا الفرض ، فان الوطن العربي كان ولا يزال وسيظل بأذن الله منبتاً خصباً لفطاحل الشعراء . وكل ما حدث هو ان الظروف لم تواتِ شعراء الجيل الحاضر لكي يصيبوا من الشهرة وذيوع الصيت ما اصاب حافظ والرصافي وشوقي ومطران . هذا الى اني احب ان اسأل بدوري :

أمن الانصاف او العدل ان نتصور وجـــود نكسة في الشعر العربي وعمر ابو ريشة والجواهري وبدوي الجبل واحمد الصافي النجفي وايليا ابو ماضي وغيرهم ممن لا تحصرني اسماؤهم ولا يقلون عنهم عظم شاعرية وغزارة انتاج وبعد صيت ايضاً على فيد الحياة ؟؟..

جواب الاستاذ عيسى الناعوري

قبل مطلع هذا القرن كان البارودي يملأ دنيا الضاد شعراً ، وقال الناس إنه قد اعاد الى الضاد عزها وعصورها الذهبية . ثم مات البارودي ، ولكن الشعر لم يصب بعده بأية نكسة ، بل ازداد قوة وحيوية وإشراقاً على ايدي الذي خلفوه ، وكانوا كثرة وليس واحداً .

وكذلك لم يصب الشعر باية نكسة —او ما يشبه النكسة— بعد وفاة شوقي وحافظ ومطران والرصافي — ولست ادري لماذا نسي الزهاوي ايضاً من الاستفتاء، وقد كان من طبقتهم— فما يزال يغرد على دوحته امثال ابو ماضي، والقروي ، وابو ريشة، والاخطل الصغير ، وبدوي الجبل، والجواهري، وغيرهم . لقد كان الشعر لدى اولئك « كلاماً وتقليداً » ، وهو لدى هؤلاء « رسالة حياة وإبداع » .

وسيذهب هؤلاء ايضاً —بعد عمر طويل— كما ذهب اولئك ، ولكن ذهاب جيل من الناس لا يعطل استمرار الحياة وتجددها في اجيال اخرى ، لا تقل عنه عظمة ، إن لم تتفوق عليه ، والشعر صنو الحياة ، يرضع قوته وبقاءه من ثديها الذي لا يعرف الجفاف ، واذا جف فترة ما فليس لينضب ، ولكن ليعود بدر جديد ، وحياة جديدة ، احلى وازهى وابدع مما كان .

انني لست من الذين يميتون الفضل كله مع الذين يموتون ، فليس هؤلاء سوى افراد من ركب الحياة المندفع دائما الى الامام . والأمة التي في روحها رصيد من حيوية، لا يمكن ان ينتكس فيها الشعر ، وهو وجه الحياة الجميل، ومرآتها الصافة .

وعدا هذا دعني اقولها لك بصراحة ، وبدون تهيب : انني لست من الذين يرون لشوقي ومطران وحافظ والرصافي — وامثال هؤلاء — من النفوق الإبداعي ما يسمح بأن نخشى بعدهم على الشعر من الانتكاس . واؤكد لك انني افضل عليهم الف مرة هؤلاء الشعراء الذين قلت انهم لا يزالون يغردون على دوحة الشعر ، ولست اعدل اولئك جميعا بأي واحد من هؤلاء ، ولا ممن لا ازال ارقب للشعر العربي كل الخير على ايديهم، من شعراء الاجيال الطالعة.

اننا نسير الى الامام ، وهذا الذي ما تزال تحتفظ به الايام — لقرب العهد — من مجد شوقي وزملائه ، سيضيع حتما امام ما تتفتح عليه براعم الشباب من حيويات ومواهب إبداعية ، لا تؤمن بشعر المناسبات الشخصية ، ولا تعرف « ببغاوية » التقليد والاجترار التي عاش اولئك وبنوا مجدهم — لجلهم — عليها .

وافولها بصراحة ايضا: إن ما لا نزال نعظمه من شاعرية شوقي و «شلته»، ومجدهم الادبي، ليس الا من مظاهر عبادتنا للماضي — وليس في الدنيا امة مثلنا تعبد الماضي ، وتعطيه اكثر مما يستحق ، بينما تبخل على الحاضر والمستقبل بما يستحقان من حرص وعناية وتقدير .

ولكن عبادة الماضي ستزول ، وسنعرف كل شيء بقيمته الذاتية — لا الأثرية — التي تعكسها عليه مقومات الحياة المتطورة المتجددة بلا انقطاع .

جواب الاستاذ بطرس البستاني

قد يكون مرد الجزع الذي حل بطائفة من الادباء بعد شوقي وحافظ وخليل والرصافي ، الى حقيقة راهنة ، اذا تدبرنا ما في نفحاتهم من اصداء لآلام الشرق العربي وآماله . فقد كانت اشعارهم تتردد في امصاره جماء، كأنها نضجت من نياط قلوب ابنائه ، في حين ان الشعر بعدهم ، اذا استثنينا بقية صالحة من معاصريهم، يكاد لا يترجع صداه الا في قطر دائرته،او ما جاورها عن كثب.وهلما نرى شعراً يجوب البلاد العربية ، ويرويه ابناؤها على اختلاف النزعات . لأنه اما ان يكون مخالفاً لعقائدهم ، او مباينا لاذواقهم الادبية ، لما فيه من ازياء والوان لم تجمع النفوس على استياغها في موطنها، فبالأولى الا تستاغها المواطن الاخرى من ديار العرب، وان يكن الجمال لايعدو بعضها، على ما في جملتها من حذلقات التعبير ومرض الالفاظ .

وقد يكون مرده الى ما احدثته الحرب العالمية الثانية من نكس في القرائح، واضطراب في الحياة الادبية . ولعل هذه الظاهرة لم تقتصر على العربية ، فان الشعر الافرنجي ، كما يظهر ، يعاني ازمة واضطرابا وخبطا في الازياء والالوان والمذاهب ، فما يقل عما نحن فيه من سوء الحال .

على اني لست من المتشائمين بمصير الشعر ، فانه لم يخـــل امره من شعراء يسدون مسد سلفهم ، الا عصر الانحطاط ، ومعاذ الله والادب ان نفكر فيه، وبالأيك اطيار فصيحة اللسان ، تحسن الغناء ، ويحلو لها التغريد . وقد تعود ادباؤنا من عهد بعيد ان يختموا الشعر بعد موت نوابغه ، فختموه بالاخطل والفرزدق وجرير ، ثم ببشار ، ثم بابي تمام ، ثم بابن المعتز ، فقالوا : فتح الشعر بملك وختم بملك، ثم بالمتنبي. وهكذا دواليك الى ان بلغنا شوقي وحافظ وخليلا والرصافي . فالشعر لا ينفك مختتماً مفتتحاً الى ما شاء الله .

جواب الدكتور مصطفى جواد

في تاريخ الآداب والفنون شواهد كثيرة على ان اكثر التطورات فيها كانت تعد (انتكاسات) ومنها بالبداهة (الشعر) . فالذين يكرهون التجديد والتوليد لكرامة القديم عندهم وعزازته عليهم ، يرونها انتكاساً وارتكاساً ، ولكن التطور امر طبيعي يعتمـــد على الواقع من ذوق غالب وثقافة غالبة وهوى عام قاهر ، ووجهة اجتماعية قاسرة. وفي الحق ان الشعراء المذكورين في السؤال كانوا من « مخضرمي عصرين » وإن كانوا مجددين بعض التجديد بالاضافة(١)الى الذي قبلهم .وقد اتجه الشعر العربي في اواخر اعمارهم وجهته الجديدة التي عدهـــا اهل الجمود « انتكاساً » ولقد فطنوا — أعني اولئكم الشعراء — الى قوة سلطان التطور ففزع شوقي الى الشعر التمثيلي بعد ان تقضى زمـــانه ، وعمد غيره الى مواضيع اجتماعية لتصـــوير شيء من السيرة الاجتماعية ، واضطر آخرون الى إتـــلاف شعرهم الذي نظموه في مدائح الاستجداء والاسترفاد وفي مراثي من لا يستحق الرثاء من العباد ، علماً منهم بأن هذا الشعر ان ظهر للناس موسوماً بأسمائهم وصمهم بوصمة القدم والجمود فضلاً عن العدم والركود. والتطور الذي اومأنا اليه انما حدث في الاعاريض (الأوزان) والمعاني والمباني ، والمقاصد والمغازي ، فقد عدل عن القوافي الطويلة النفس الى المقطعات والموشحات المنسية ، والرباعيات والثانيات (٢)

(١) « بالنسبة الى ... » ويغلط من يستعمل هذه العبارة بمعنى « زيادة على ... » و « مضافاً الى » .

(٢) نظم جماعة من الشعراء « ثمانيات » اي مقطعات مؤلفة من ثمانية اسطر وسموها « رباعيات » خطأ فالاصطلاح لا تتحكم فيه الاذواق .

والسباعيات من النوع القديم الذي كان يسمى « مسمطاً » وكان قليلاً جداً ونـــادراً .

وافتن الشعراء في المقاصد والمغازي وامعنوا في الخيـــال المبدع والتشبيه الرشيق والغزل الرفيق ، بلغـــة سهلة سمحة ذات انسجام واطراد ، ولباقة وأناقة ، وهـــذا الوصف لا ينفي عنه ان يكون فيه ما يشبه هذيان المحموم بكلم منظوم ، يأتيـــه متطفلون على الشعر ويحسبونه شعراً عصرياً لاستحواذ التقليد البليد على نفوسهم ، ذلك التقليد الذي لايخلو منه عصر من عصور الادب .

ومن ادلة الاقبال على الشعر العصري وامارات ازدهاره ظهور هذا السرب من الشواعر النواشىء ، في مختلف الاقطار العربية ، نتيجة من نتائج التثقيف النسوي فيها ، مع ان ازهر عصور الادب العربي في القديم لم يكن فيه من امثالهن الا القليل الاقل بحيث لا تتجاوز الافواه في اعتدادهن كلمة «اثنتين» ، وقولي « امثالهن » اعني به الشاعرات لا ان طبقة شعرهن من طبقة هؤلاء العصريات ، فالبون بين الشعرين كبير في المعاني . وفذلكة القول ان الشعر العربي اليوم قـــد اصبح متحرراً مبدعاً رشيقاً انيقاً صادقاً في تصوير الاهواء المعروفة بـ « العواطف » بعيداً عن التكلف والرياء ، والخشونة والجفاف ، سليماً من آفات الاستعباد الصناعي اللفظي ، الذي كان الرضا بأفانينه اللفظية يغطي على عدم متعته الفنية عند النقاد اللفظيين .

وهذا التحرر قد افقده من المقاصد القديمة : « الحماسة » في القوميـــة والسياسيةو « المدح » و« الهجاء » و « الرثاء » ، لأنه لم يجد لها مبـــاءة في السيرة العربيـــة العصرية الاجتماعيـــة ، وذلك الى الحماسة في النهضة العربيـــة الاخيرة ، كانت مكفولة من الملوك والامراء والزعماء والرؤساء على العادة القديمة في البلاد العربية ، وشجعت عليها دول كانت تناوىء الاتراك في القومية والسياسة ، فلما بلـــغ الطالب غايته والمريد مراده والساعي مداه ، تضاءل التشجيع ، وتفهت المعاضدة ، وحلت الكفالة ، وبطل الاستحسان ، اما عند العرب فذلك لأن الذين تولوا امورهم إما مدعون للعروبة ما دامت حلوبة دارة الاخلاف او الضروع ، فهم لا يحسون برسيس الشعر العربي في افئدتهم وإما عرب غلبت عليهم العـــامية والجهل والجفاء فهم كالانعام بل اضل سبيلاً وإما متفرنجون يجهلون العربية ويتجانفون عنها ستراً لتفريطهم فيها ، وتغطية لتقصيرهم في حقها ، واما الغربي فقد بلغ مراده بالتشجيع وافاد فائدته بالمساعدة ، ووصل الى مبتغاه بالاستحسان ، فلا خير له في الاستمرار لانـــه مدعاة الى الاغترار ، وقد اصبحت الحماسة الشعرية في البلاد العربية خطراً عليه لان التداوي بالسم في مرض مخصوص لا يعني انه دواء عام دائم ! وهو قد تداوى بهـــذا السم وشفي من مرضه ، فلا حاجة له الآن فيه . وخلاصة القول ان الشعر الحماسي مقضي عليه في البلاد العربية قريباً ، ما لم يصب التغيير من ذكرنا وما ذكرنا . لان الكفالة ضرورية له .

واما « المدح » فقد بارت سوقه ، وانحل نظامه ، وانهارت دعائمه وبطلت الدواعي اليـــه ، ففي القديم كان اكثره من الكذب والتزوير ، والاغراء والتغرير ، بحيث كان من مفاسد الاخلاق ، والملق الدنيء ، والتثبيط الرديء وقد اضر بالامة العربية كثيراً ونفعهـــا قليلا ، فان كانت هذه حاله يوم كان العرب عربـــاً فكيف يكون والعروبة اليوم على الصفة التي ذكرت لك ؟ والحمد لله على موت المدح والهجاء اللذين يعتمدان على قلة الحياء .

واما « الرثاء » فهو في الاصل من الشعر الصادق وهو الوفاء المصور بلغة الشعر والحب المحـــرر بالفن ، والدموع المقلبة كلها نظيماً ، فاختلاله اعتلال للشعر ، وبالبداهة لا نعني بالرثاء الرثاء المأجور الذي ذهب زمانه فان ذاك من قبيل المدح المزور والكذب المكرر ، ولعل من الادباء من يعد فقدان الشعر العربي ، العصري للحماسة والمدح والرثاء انتكاساً ، فليس ذلك بصواب من الرأي ، وانما فقد الشعر الحماسة لذهاب اهلها وخمول الحاسة الشعرية عند الزعماء ونخشى على الرثاء ان يصيبه الفناء وهو من صادق الشعر .

جواب الاستاذ انور المعداوي

ماذا يقصد هؤلاء الجازعون بقولهم ان الشعر قد اصيب بنكسة قوية بعد شوقي وحافظ والرصافي ومطران ؟ اذا كانوا يقصدون انصراف الناس عن الشعر في هذه الايام بعد احتفائهم به بالامس واقبالهم عليه ، فتلك ظاهرة ادبية عامة لا تقتصر على بلادنا دون غيرها من البلاد ، حتى يصح القول بأن التبعة تقـــع على شعرائنا دون غـــيرهم من الشعراء ، او بان العلة في ذلك هي قصورهم عن بلوغ المستوى الفني الذي نتطلع اليه في كل شعر ممتاز !

ان النكسة قـــد اصابت الشعر العربي الحديث كما اصابت الشعر الاوربي الحديث ، حـــتى لقد امتنعت اكثر دور النشر هناك عن طبع الآثار الشعرية نظراً لكساد سوقها بين مختلف الفنون ... وليس من المنطق في شيء ان يرد هذا الكساد الى ان شعر اليوم عندنا اقـــل امتيازاً من شعر الامس ، لأن الإعراض عن الشعر قـــد اصبح ظاهرة عامة تشمل انتاج هؤلاء الاربعة كما تشمل انتاج من اتى بعدهم من الشعراء ! ترى هل تستطيع موازين النقد ان تفضل شوقي على شاعر مثل علي محمود طه ، او مطران على شاعر مثل ابي ماضي ، او حافظ على شاعر مثل أبي ريشة ، او الرصافي على شاعر مثل ابي شبكة ؟ لا اظن ... واذا فعلت يومـــاً فهي الموازين التي يتحكم في آرائها الهوى او تسيطر على احكامها الغفلة او تتخلى عن اتجاهها سلامة التقدير !

ان النكسة اذن ليس مصدرها ان افق الشعر قد خلا بعد شوقي وزملائه من الشعراء المحلقين ، لان هؤلاء الذين اتوا بعدهم وحددنا اسماءهم قد عرضوا الشعر العربي الحديث في صور جديدة ، صور اقـــل ما يقال عنها ان الجيل المعاصر قد وجد فيها من المتعة الفنية ما لم يجـــده في صور الأمس ، يوم ان كان الشعر يلقى من الاقبال في ماضيه القريب ما لم يلقه في حاضره المشهود !

لو كان شعر شوقي وزملائه في هذه الآونة اكثر شيوعا لدى الجمهور القارىء من شعر علي طه وزملائه ، لأمكننا القول بأن هناك نكسة قوية ولأرجعنا السبب الى امتياز اولئك عن هؤلاء ، ولجزعنا مع الجازعين على سمعة الشعر العربي الحديث !!

ولا نريد هنا ان نتحدث عن الازمة « الاصيلة » التي يعانيها الشعر في كل مكان ، لأن الحديث عن هذه الأزمة يحتاج الى دراسة مطولة يربط فيها الباحث بين الظواهر الفنية وبين اسبابها الطبيعية .

الكتاب اللبناني في كل مكان

مكتبة المعارف في بيروت

ساحة النجمة - شارع المتنبي

تلفون ٩٠ - ٦٧ بيروت

ص.ب ١٧٦١

تؤمّن وصول الكتاب الذي يوزّع بمعرفتها الى جميع انحاء العالم العربي .

وقد اسست لها مكتباً في القاهرة لتوريد جميع الكتب الصادرة ولتوزيع الكتاب اللبناني ونشره .

اعتمدوها لنشر وتوزيع مؤلفاتكم تضمنوا لها الرواج والانتشار ..

رأيي في الشعر

بقلم الدكتور شكري فيصل

مرد هذا السؤال الذي أثارته « الآداب» الغراء امران :

أحدهما هذه الازمة التي يعانيها الشعر بوجه عام عند كل امم الارض .

والثاني هـــذه الازمة التي يعانيها الشعر بوجه خاص في العالم العربي .

واحسب ان مجال الحديث فسيح إذا نحن نظرنا في هذين الامرين معاً ، فحسبنا لذلك ان نكتفي بواقعنا الخاص ، على إيماننا بهذه الصلة التي تربط بين هذا الواقع وبين واقع الشعر في اللغات كلها .

والامر في جملته بالنسبة الى الشعر العربي ليس أمر « نكسة » ولكنه أمر « تطور » .. وفهم اتجاه هذا التطور ومداه وتطابقه مع الشعر العربي القديم او تباعده عنه ، هو الذي يتيح لنا بعد ذلك ان نرى اهو « نكسة » ام هو شيء آخر غيرها.

* * *

والواقع ان الاساليب المطبوعة والاصيلة التي كان يتحلى بها الشعر العربي الحديث عند شوقي وحافظ بوجه خاص ، والصلة المكينة التي كانت تربط بين القصيدة عند هؤلاء الشعراء وبين القصيدة عند المتقدمين من الشعراء الفحول... هذه الصلة توشك ان تكـــون قد تعرضت في الشعر المعاصر الى شيء من الرثاثة او الانقطاع.

والظاهرة الواضحة في شعرنا المعاصر الذي نقرؤه في الدواوين والمجلات انه شعر ينحرف به اصحابه عن سنن الشعر القديم ... يخالفون في كثير من المرات عن الاسلوب والبناء وتأليف العبارة ، وعن الوزن والقافية وقواعد العروض ، ويخرجون به عن هذا الطريق اللاحب العريض الذي اعتنه مواكب الشعراء على مدى القرون الى هذه الطرق الجانبية التي تتفرع من هنا ومن هناك ... كأنما تعبر بهذا التفرع عن الرغبة في الانفلات والميل الى الانطلاق والتخفف من كثير من القيود.

ومن هنا...من هذه المقابلة بين السبيل الذي كان يسير فيه شوقي وحافظ وبين السبيل الذي يسير فيه شعراؤنا المعاصرون تتبدى هذه الفجوة او هذا الانحدار...وهي فجوة تحاليا احيانا بعض النباتات او تكسوها بعض الشجرات او تنفجر في سفوحها ينابيع او تتحدر على جوانبها جداول او يكون لها هذا اللون من السحر او ذاك فنسميها تقدماً بالشعر واغناء له ... وهي في اكثر الاحيان فجوة جرداء غبراء عارية تبعدك عن الطريق دون ان تكسبك من وراء ذلك جمال التمرد ومتعة المخالفة فنسميها نكسة او ارتداداً بالشعر.

ولست ابعد على القارىء ... ففي وسعه ان يمر هذه المرة السريعة على ما بين يدية من مجلات او دواوين فيرى ذلك ... بل لعل في صنيع مجلاتنا الادبية في تقديم النتاج الشعري الجديد ما يشعر بذلك ويقود اليه .

فأصحاب هذه المجلات يقدمون بين يدي القصائد المحدثة قطعاً مختارة من الشعر العربي القديم ... وانت قد تسمي هذا الصنيع تنويعا في النشر ، وقد تسميه تيسيراً على القارىء ، وقد ترى انه لفت الى كنوز تراثنا الشعري القديم... ولكنك مهما اخترت له من اسماء فلن تنسى ان ، هذا الصنيع ، نوع من المقابلة ... مقابلة فيها هذا الاعتراف الضمني – وهو اعتراف غير شعوري غالباً – بأن هناك هذا المدى او هذه الفجوة بين شعرنا القديم الذي مضى فيه شوقي وحافظ وبين شعرنا الجديد الذي يمضي فيه شعراؤنا المعاصرون.

هذه الفجوة تتمثل في كثير من المظاهر...تتمثل في الميل الى اليسر وايثار اقرب اللفظ والعدول عن الجزل الأسر الى ما وراءه من هين قريب ... تتمثل في التململ من بعض قيود اللغة والانصراف عنها ومحاولة تغليب الاضعف او الاكثر انتشاراً على الالسنة العادية، على الاقوى والاكثر انتشاراً على السنة القدامى والفحول... تتمثل في النظر الشزر الى القافية والخروج عنها برفق حيناً والثورة عليها بعنف حيناً آخر ... وتتمثل اخيراً في ان بعض الشعراء يولي تراث الشعر العربي القديم كله ، من امرىء القيس الى شوقي ، ظهره... ثم يقول الشعر اويحاول ان يقوله وفق ما يبدو له انه مستطيع .

ولن اتحدث عن هذا الشعر القديم ولا عن الجهل به ، ولكني اتساءل ما الذي يمكن ان يشفع بعد هذا كله ، للشعر المعاصر فيجرده من ان يكون نتاجه « نكسة » في تاريخ الشعر العربي ؟؟

هناك شيء واحد يمكن ان يغطي هذه الفجوات... ذلك هو قوة الشاعر نفسه ، قوة روحه الشاعرة ... سعة انطلاقاته وامتداد آفاقه ... وثباتـــه بقارئه ... تجريده العميق ، خياله المجنح ، عاطفته العنيفة التي تأسر عواطفنا وتسوقها كيف تشاء ... عمق تجاربه النفسية وانسانية هذه التجارب... قدرته على ان يكون شعره غناء ضاحكاً او غناء باكياً او غناء ثائراً في معترك حياتنا التي تتعاقب فيها المبكيات والمضحكات كالمبكيات ... تمكنـــه من نفسه اولاً كشرط اساسي في قدرته على التمكن من نفوس القراء والغلبة عليها حتى ينحاز اليه هؤلاء القراء ، مغضين عن هـذا الفراغ الذي يجدونه بين الشعر القديم الذي جدده شوقي وحافظ وبين هذا الشعر الجديد.

فما نصيب الشعر المعاصر من ذلك كله وما حظ شعرائنا المعاصرين منه ؟ ألا يبدو انه حظ قوي حيناً وضئيل في اكثر الاحايين ؟.

فاذا كان ذلك كذلك فان لك ان تسمي ما تراه في الشعر المعاصر نكسة... واما اذا كنت لا ترى هذه الفجوة، في كل مظاهرها المتقدمة، وكنت كذلك ضيقاً باللغة والقواعد والاوزان ثائراً عليها بعيداً عن نصوص الشعر العربي في كل مراحله فان لك ان تسمي ما تراه في الشعر المعاصر تطوراً .

ولكن اعيذك ان تنسى قبل ان تتخذ موقفاً ما ، ان الشعر إنما هو قبل كل شيء استمرار من الماضي الى الحاضر وامتداد من الحاضر الى المستقبل ... ولكنه استمرار متجدد وتمدد غني ... مهمته ان يصل بين اعمق جذور هذه السرحة العظيمة في مطاوي الأرض وبين ابعد براعمها في اجواز الفضاء .

وتقدير الشعر وتقويم الشعراء إنمـــا يرجع الى هذا ... الى قدرتهم على النهوض بهذا الاستمرار وهذا التمدد ... اعني قدرتهم على تمثل الشعر القديم وهضمه ثم على انشاد الشعر الجديد والتبشير ببذرات المستقبل .

إننا نقرأ الشعر لاننا نجد فيه انفسنا... وانفسنا ليست صوغ هذا الحاضر، ولكنها صوغ هذا الحاضر الذي يقوم على طبقات متراكبة من ترسبات الماضي... والعنصر المستمر من الشعر هو الذي يتطابق مع هذه الترسبات والعنصر الجديد منه هو الذي يتطابق مع الجديد من حياتنا...وبتعبير آخر: هنالك دائماً هذان القطبان ... ونحن نحب ان نجد في الشعر كل ماضينا وحاضرنا. ونحب ان نجد فيه مستقبلنا ولهذا يجب ان يكون الشعر في مبناه ومعناه ، في قيوده وانطلاقه صورة عن هذا الماضي والحاضر والمستقبل .

ومدى النكسة او التقدم انما ينضبط ، فيما يبدو لي ، في هذا المقياس... فاختر لنفسك بعد ، ان تقول في الشعر الحديث ما تحب ان تقول .

شكري فيصل